الإنسان والآلهة
عالم مفتوح واتصال متبادل

أ.د. اسامة عدنان يحيى م. ختام عدنان علي
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

- **الملخص:**

في بلاد الرافدين لا يستطيع الانسان الانفصال عن الالوهية، فهو دائم الاتصال بها، لكن ذلك الاتصال يحتاج الى وسائل وقنوات للعبور، ولعل بداية تلك الوسائل هي الصلاة التي تهدف قبل كل شيء الى تمجيد المقدس ومن ثم التضرع له، كي يستطيع الإنسان ان يفصح عما بداخله للآلهة، ويطلب منها ان تحقق رغباته؛ واذا كانت الصلاة تمثل الجانب المعنوي من ذلك الاتصال، فإن القربان يمثل الجانب المادي الذي يستطيع الانسان من خلال ان يُغري الآلهة ويدفعها ان تلبي ما يطمح له؛ فالقربان هو الوسيلة المادية المفروضة على البشر الذين خلقوا من اجل خدمة الآلهة؛ اما البخور فتمثل الركيزة الثالثة والمهمة للاتصال بين البشر والمقدس فهي تساعد المتعبد للوصول الى حالة الانسجام مع القوى العليا، وتحدث نشاطا روحياً قوياً اثناء العبادة.

اذا كانت الوسائل الثلاث الاولى المقدمة من البشر للآلهة، فإن هناك وسيلتان لا تقلان عنها اهمية تجعلان الانسان على اتصال دائم مع عالم الألوهية، الاولى: هي وجود إلهه الشخصي الذي يمثل الرابطة الموجودة دوماً بينه وبين الآلهة العظام؛ والثانية، هي كونه ابن الآلهة.

ان وجود الآلهة على الأرض احدى وسائل الاتصال الضرورية، لكن ذلك الوجود لن يتم إلا عن طريق الوعاء الذي يحتوي جسد الإله الا وهو تمثاله، لذا حرص الملوك في بلاد الرافدين على صناعة تمثال الإله، كي يضمنوا وجود الآلهة على ارضهم، وبتلك الطريقة يضمنوا ضمان الاتصال الدائم مع عالم الالوهية.

تمثل الاحلام والعرافة والوسيلة الاخيرة للاتصال بين عالم البشر والآلهة فعن طريقهما يتحدث الطرفان، وعن طريقهما يعرف البشر ارادة الآلهة، ورغباتها.

- **Abstract:**

In Mesopotamia, man cannot separate from the divinity, he is always connected to her, but that connection needs means and channels to cross. Perhaps the beginning of these means is prayer, which aims above all to glorify the sacred and then to pray to him so that man can reveal what is inside To the gods, and asked her to fulfill his desires;.

If prayer represents the moral aspect of that relationship, sacrifice is the material aspect through which man can bribe the gods and motivate them to achieve what he wants; sacrifice is the material means imposed on the human being created for the service of the gods.

Incense is the third pillar of communication between humans and the sacred. It helps the worshiper to reach a state of harmony with the higher powers, and he performs a strong spiritual activity during worship.

If the first three means provided by humans to the gods, there are two means of equal importance to make man in constant contact with the world of divinity, the first: the existence of his personal God, which represents the bond that always exists between him and the great gods; The second, being the Son of the Gods.

The existence of gods on earth is one of the necessary means of communication, but this presence will be only through the vessel containing the body of God, that is through his statue. Thus, the kings of Mesopotamia make the statue of God, to ensure the existence of gods on their land.

Dreams and divinity are a means of communication between the world of men and gods. Through them the two sides speak, through which people know the will and desires of the gods.

- **التقوى والصلاة.**

ان الإنسان في بلاد الرافدين يجب ان يكون تقياً، وان التعبير عن التقوى هو (karābu) أي يصلي[١]. كما يجب على الانسان ان يخاف الاله أي (adaru)[٢]؛ والصلاة تقوم بتكرار بعض كلمات وجمل وضعها المجتمع لأبنائه ينالوا بواسطتها رغباتهم من الآلهة، أو هي بتعبير أخر دعاء وطلب وشعور بضعف، وإقرار بوجود كائنات علوية تستطيع ان تقوم بما يعجز عنه الكائن البائد[٣].والصلاة ذات قيود وشروط لا يرجى منها نفع إلا إذا تليت على حسب القواعد الموضوعة، والإنسان يعتقد تمام الاعتقاد انه إذا قام بترديد الكلمات الخاصة بها فانه سيصل إلى غاياته جراء هذا الترديد[٤].وبناء على ذلك يمكن ان نقترح ان الصلاة تمثل تواصل سحري بين الإنسان والقوى الإلهية التي تحكم العالم والكون، وهي هنا ان جاز لنا التعبير أشبه بسحر الكلمة التي يستطيع الإنسان عن طريق ترديد كلمات تلك الصلاة ذات المفعول السحري ان يؤثر على القوى الفعالة في الكون[٥]. وفي بلاد الرافدين كانت الآلهة توقع اشد عقوبات اذا تبين ان المرء لا يخافها، وان مخافة الالهة تتضمن تمجيد الالهة وعبادتها وان الانسان يكرر هذا التمجيد وتلك العبارة تحت وطأة الخوف منها فهو يقول:

"غرقت في الصلاة و الابتهال

وكانت الصلاة تأملي و القربان شريعتي

كان اليوم الذي تمجد فيه الالهة يوم فرح قلبي

وكان اليوم الذي اتبعت فيه الالهة يوم كسبي وغناي"[٦].

ولكن ليس التمجيد فقط هو ما يستهدفه الانسان في صلاته وتقواه بل التخلص من ذنوبه وآثامه التي ارتكبها بحق الألوهية الغاضبة:

"انا فلان بن فلان عبدك
لان غضب الاله و الالهة حل علي
حل التلف و الدمار بمنزلي
والصلاة دون ان أُسمع قد حرمتني من النوم
لأنك يا سيدي ملئ بالرأفة التفت الى الوهيتك
لأنك تعرف ان تغفر اياك طلبت
لأنك تنظر بعطف (فأنا) اتأمل وجهك
لأنك رحيم فأنا هنا امامك
انظر الي بأمانة اصغِ الى صلواتي
واذا كان قلبك غاضباً فليهدأ لي
حل آثامي واخطائي ومخالفاتي
ليهدأ عاجلاً غضب الوهيتك علي
وليصبح الاله و الالهة الغاضبان صديقين لي
سأعلن اذ ذاك عظمتك و سأشيد بمدائحك"(٧).

وفي صلاة اخرى تقول: "لقد طالتني النجاسة، واني أجثو أمامك لتحاكمني وتصدر قرارك، حاكمني، واصدر قرارك على إثمي، واستأصل المرض الخبيث من جسمي ودمر الشر الذي في لحمي، وعضلاتي، حتى إذا ما زال الشر عن جسدي ولحمي وعضلاتي أقوى على رؤية نورك"(٨). نقرأ في صلاة لـ اشور-باني-ايلي: "لماذا يحيط بي المرض وعذاب القلب والشقاء والألم...لقد حنى مرض القلب ومرض الجسد قامتي...ندبت أيها الإله! سلط هذه على الذي لا يخاف الآلهة ودعني أرى نورك! أيها الإله لم قررت كل هذا علي؟ أني أتعذب كمن لا يخاف الآلهة"(٩).

- **القرابين.**

ان اقدم النصوص التي تناهت الينا تشير ان السومريين و البابليين يعتقدون بأن لهم علاقة مع الالهة على شكل ما من الاشكال و يعبرون عن هذه العلاقة بالنذور العديدة التي يقدمونها الى الالهة، والقربان فيمكن ان يعرف بأنه تقديم شيء نملكه لإرضاء الإله، وهذا الشيء يدمر أما بالقتل أو بالحرق أو بالإغراق، أو وهب أو إفناء شيء حي أو جامد من اجل نقله من ملكية البشر إلى ملكية القوى الروحية أو الإلهية. وابسط شكل له هو التقدمات والهدايا من كل نوع على أمل إرضاء الأرواح، فعندما يكشف الإنسان ان القوى تتصرف بشكل غير عادي أو غير منضبط فانه يعمد إلى تقديم القرابين من اجل

استرضائها أو استمالتها حيث لا يستطيع إخضاعها، وهذا ما يسمى بالقربان ألاسترضائي. وهو عندما يعتقد بأنه اغضب القوى الروحية بأفعاله يعمد إلى تقديم القرابين بقصد التكفير أو التعويض عن سوء أفعاله، وربما يأمل بان يفتح طريقا تتدفق منه القوى الخارقة إليه، وهذا ما ندعوه بقربان الأسرار. والشكل العام للقربان المتبع في المعابد: هو ان يحضر المضحي قربانه إلى فناء المعبد حيث يقوم الكاهن بتقديم هذا القربان للإله. وقد اقترح الباحثون خمسة أسباب لتقديم القربان هي:١.العبادة ٢.التعبير عن الشكر ٣.المقايضة ٤.كفارة عن ذنب ٥.دعم السلام والمصالحة[١٠]. والإنسان في بلاد الرافدين خُلق من اجل غرض رئيس هو ليعبد الالهة ويخدمها بتزويدها بالطعام والشراب والمسكن ليتوافر لها وقت الفراغ الكامل لتنقطع الى اعمالهم الالهية[١١]، فالآلهة بحاجة الى البشر لكي يحصلوا على القرابين[١٢]؛ ويمكن ان نلاحظ جيداً ان الاساطير والنصوص الدينية يجمعها جميعاً فكرة واحدة هي خدمة الانسان للآلهة (dullu) و هي عبارة فهمها البابليون كما بمعناها الحرفي و بطريقة حسية[١٣]؛فليس للحياة البشرية في بلاد الرافدين من معنى وسبب وجود وغاية الا في خدمة الالهة[١٤]؛ ففي اسطورة الخليقة البابلية نقرأ:

"ليجعل(مردوك) الشعوب تهتم بآلهتها وتتضرع إليها
وبكلمة منه، يعاملوا باحترام إلاهاتهم
وليقدموا الى آلهتهم وإلاهاتهم مخصصاتهم الغذائية
والا ينسوا تقديمها لآلهتهم(الشخصية)"[١٥].

وان هذا ما يشعر الآلهة والفرد بالسعادة على حد سواء، فالبابلي بلا شك كان يدرك ان الوسيلة الوحيدة التي تجعله سعيداً هي ان يقوم بواجباته تجاه الالهة على وجه الكمال[١٦]، ففي نص للملك شولگي(Šulgi)(٢٠٩٤-٢٠٤٧ قبل الميلاد) نقرأ فيه :" يا شولگي لقد خُلقتَ لإسعاد ايننا"[١٧]،فالإنسان خلق لإسعاد الالهة.

وان النصوص المتعددة تكشف ان الالهة خلقت الانسان لبناء معابدها[١٨]، وتقديم القرابين، ففي نص نقرأ :

"اعبد الهك كل يوم
عليك بالقربان والتبريكات وحرق البخور
قدم قربانك عن طوع لإلهك
لان ذلك يليق بالآلهة
صلِ و ابتهل و اسجد له يومياً
سوف يجازيك جزاءً حسناً "[١٩].

والمعذب البابلي شوبشي-ميشري-شاككان(Ŝubši-mešre-šakkan) يقول في محنتته:

"كانت الصلاة بالنسبة لي حكمة، وكانت التضحية شريعتي

يوم تقوى الآلهة هو طيب لقلبي"[٢٠].

وتشير مرثية اور الى واجب البشر تقديم القرابين الى الإله نانا(Nanna):

"ايها الإله رجال المدينة

بتقدماتهم سوف يأتون اليك"[٢١].

وان نصاً اخراً يوضح بشكل كبير اهمية القرابين بالنسبة للآلهة، اذ نقرأ في نص الملك البابلي نابونائيد(Nabû-na'id)(٥٥٦-٥٣٩ قبل الميلاد) وكهنة بابل كيف ان القرابين اعادت الحياة للآلهة :

...من كانت قوتها متضائلة اعادها ثانية الى الحياة

(لان) طعامها صار يقدم بشكل منتظم لها"[٢٢].

- **البخور:**

كانت البخور حسب معتقدات القدماء تساعد المتعبد للوصول الى حالة الانسجام مع القوى العليا، وتحدث نشاطا روحياً قوياً، فضلا عن تطهير الجو. لذا كانت جزءً رئيساً من الشعائر الدينية، ونعرف من النصوص المسمارية عن حرق البخور في المعابد في بلاد الرافدين، وكان طقس احراق البخور يجري يوميا في المعبد من قبل كهنة خاصين، وكان يقام في المعبد مذبح بخور وهو عبارة عن دكة عالية يوضع عليها ما يشابه الموقد، وفي هذا الموقد توضع مادة البخور كطقس يومي أو مرافقة لطقوس اخرى[٢٣]،ويُطلق على المبخرة في السومرية نيگ-نا(NÍG-NA)، و(ني-نا-گوب)(NÌ-NA-GÚB)، ويقابلها في الاكدية(نيگناككو)(nignakku)، أو(نيگناققو)(nignaqqu)، أو(نيدناككو)(nidnakku)، أو(نيگناگوبو)(nignagubbû)، وهذه الكلمات تعني: مبخرة، مجمرة عطور، البخور[٢٤].وكانت المبخرة يضرم فيها اللهب، وتُحرق فيها انواع البخور، أو الاخشاب ذات الرائحة، فتفوح منها الروائح الزكية، وتوضع المبخرة عادة في غرفة المعبد الرئيسة، اذ يعد التبخير طقسا دينيا، واسلوب من اساليب التطهير، او خدمة للآلهة التي كانت تُسعد بالرائحة الحلوة، وهو من العادات الخاصة بمائدة الآلهة، ونقرأ في نص: "الصلوات سوف تدع البخور يتصاعد من المبخرة"؛ وفي اخر: "ضع كمية من الملح في المبخرة من اجل زيادة الاحتراق"؛ وفي نص ثالث: "ضع البخور في المبخرة في احتفال تمجيد المعبد"؛ وكان رأس الاضحية المقطوع يوضع قريبا من المبخرة المحترقة، ويرش الماء المقدس، ويرافق ذلك تلاوة التراتيل والرُقى، وبذلك كان للمباخر اهمية خاصة في طقوس المعبد، وفيها تُحرق الاخشاب ذات الروائح الزكية ومنها الصنوبر والارز، وتقدم كطقوس أو كخدمة للآلهة التي كانت تتمتع بالروائح العطرة[٢٥]. ويرد في نص صلاة ملك ايسن ايدن -داگان الموجهة الى الالهة ايناننا عن تقديم البشر البخور لهذه الالهة: "عملوا الهبات لها، كدسوا البخور مثل الارز الحلو الرائحة"[٢٦]. كما سُكبت المواد العطرية امام الالهة، وكانت الاواني المستخدمة من اجل ذلك تدعى في السومرية(^{DUG}NÍ-TA-)/(^{DUG}NÍG-TA-ḪAB) ḪAB)، وفي الاكدية كوككوبو(kukkubu)، أو كوككوپو(kukkupu)، أو قوققوبو(quqqubu)[٢٧]،

وتشير المصطلحات السومرية الاكدية الى اداة طقسية عبارة عن إناء صغير مصنوع من المعدن أو الفخار، وقد ورد ذكر هذا الاناء في العديد من نصوص العصرين البابلي الوسيط والحديث، والعصرين الاشوري الوسيط والحديث، ونصوص العمارنة، والنصوص الحيثية، ومن استخداماته هو سكب العطور فيه: "إناء كوككوبو من اجل سكب العطور"[٢٨].

- **الإله الشخصي.**

كانت من انواع الصلة بين الانسان والالهة العظام تتمثل بوساطة اله اخر، فقد كان الإله نوسكو(Nusku) اله النار هو الوسيط بين الالهة و البشر[٢٩]، فضلاً ان لكل مدينة اله مسؤول عنها و يتولى رعايتها ويحمي مصالحها و افرادها وهو الوسيط بينهم و بين الالهة الكبار التي تحكم السموات والارض[٣٠]، كما كان لكل فرد اله شخصي، يكون عادة الهاً صغيراً يعنى بعائلة ذلك الانسان عناية خاصة فهو اقرب ما يكون الى تشخيص لحظ الفرد ونجاحه في الحياة، و يفسر النجاح بأنه قوة خارجية تتغلغل في افعال الفرد و تتيح لها انجع النتائج، فالنتائج لا تصدر عن قدرة الانسان نفسه لأنه اضعف من ان يؤثر على مجرى الكون تأثيراً يذكر، ولا يقوى على ذلك الا اله ولذلك اذا حُققت الاشياء ما كان يأمله الفرد أو فوق ما كان يأمله فلا ريب ان الهاً ما قد اهتم به و بأفعاله و اتاه بالنجاح، فهو على حد قول سكان الرافدين: "حصل على اله"، وباعتقادهم بأن الاله الشخصي هو القوة الكامنة وراء النجاح ويمكن ان نقرأ عن الانسان وضرورة وجود اله شخصي معه :

"ليس بمقدور الانسان بلا اله (شخصي) ان يكسب خبزه

"و لا بمقدور الفتى ان يحرك ذراعه ببطولة في المعركة "

أو نقرأ :

"عندما تختط للمستقبل يكون الهكَ الهكَ

واذا لم تختط للمستقبل ليس الهكَ بالهكَ "

أي انك لن تحظى بالنجاح الا اذا خططت للمستقبل وعندئذ يمكن فقط ان يكون الهك معك و يمكن ان نقرأ:

"على الانسان ان يسبح بعظمة الهه

وعلى الشاب ان يطيع بكل جوارحه امر الهه ".

ان الاله الشخصي ليس بالنائي الرهيب ككبار الالهة بل هو دانٍ كثير الاهتمام و للمرء ان يخاطبه و يستثير عطفه[٣١]، فالإنسان في بلاد الرافدين يؤمن ان يكون لديه وسيط يتشفع له، وسيط يكون الارباب مستعدين لسماعه والتعاطف معه، فهو مثل الملاك الصالح لكل فرد على الخصوص، و لكل رئيس هو ابوه الالهي الذي انجبه اذا جاز القول و كان الفرد المصاب يكشف قلبه له أي لإلهه الشخصي في الصلاة و الابتهال و كان من خلاله يجد خلاصه[٣٢].وتشير النصوص الى وجوب احترام

الشخص للآلهة لأن ذلك سيمنحه ملاك صالح يحميه: "الذي يحترم الالهة يكون له ملاك يحرسه و المتواضع الذي يخشى ربته تتجمع عنده ثروة طائلة"[٣٣].

- **ابن الآلهة.**

حاول الإنسان في بلاد الرافدين عبر العصور بكل وسيلة اثبات ارتباطه بعالم الآلهة عن طريق الخضوع الى هذا العالم بوساطة الصلاة والقرابين، او الاندماج معه بوساطة الادعاء بالانتماء إليه، لذا كان من مظاهر الارتباط بين الانسان و الاله هو ادعاء الانسان بكونه ابن الاله، فـ گوديا(Gudea)(٢١٤٤-٢١٢٤ قبل الميلاد) مثلاً يذكر انه ابن الإلهة نينسون (Ninsun) أو نانشة (Nanše) او بابا (BABA)[٣٤]؛ كما اكد اور-نامما(Ur-namma)(٢١١٢-٢٠٩٥ قبل الميلاد) مؤسس سلالة اور الثالثة كونه ابن الالهة نينسون[٣٥]؛ في حين يذكر ليبيت-عشتار(Lipit-ištar)(١٨٧٠-١٨٦٠ قبل الميلاد) خامس ملوك ايسن(Isin) في مقدمة قانونه انه: "ابن الاله اينليل(Enlil)"[٣٦]؛ كذلك اطلق حمورابي سادس ملوك سلالة بابل الأولى (Ḫammurabi)(١٧٩٢-١٧٥٠ قبل الميلاد) على نفسه ابن سين (Sin) وابن داگان (Dagan) أو اخ زماما(Zamama) أو ابن اينليل(Enlil) بينما في نص اخر سمى نفسه ابن مردوك[٣٧].وشاعت في العصر البابلي القديم مثلاً في اسماء الناس تلك التي تصور العلاقة بين الاله والانسان من مبدأ كون الناس كلهم اولاد الالهة مثل ايليشو ابوشو (ilišu abušu) أي (الهه ابوه) و ايلي ابي (ili abi) أي (الهي ابي)[٣٨]. وخلال العصر الاشوري الحديث يذكر اشور-ناصر-اپلي(Aššur-naṣir-apli)(٨٨٣-٨٥٩ قبل الميلاد) انه الابن البكر للإله نوديممود(Nudimmud)[٣٩]؛ اما اشور-باني-اپلي(Aššur-bani-apli)(٦٦٨-٦٢٧ قبل الميلاد) فيقول ان امه نينليل (Ninlil) واحياناً بيليت (Bilit) نينوى أي سيدة نينوى وتارة عشتار (Ištar) اربيل[٤٠].

- **الإله على الأرض.**

في الصفحات السابقة ادركنا ان علمية الاتصال بالعالم المقدس تحتاج الى ان يبذل الانسان جهداً ما في سبيله، ذلك الجهد اما ان يكون معنوياً كالصلاة، أو مادياً كالقرابين، أو عن طريق إله اصغر هو إله شخصي، لكن تلك الطرق الثلاث للاتصال لأن تكون ذات جدوى ملموسة دون موجود الإله ذاته على الأرض، عن طريق وعائه الذي يحتوي جسده المقدس، أو تمثاله الذي تقدم له فروض الطاعة، لذا كان من وسائل الاتصال الضرورية هي وجود تمثال الإله على الأرض؛ فتمثال الإله هو المستودع أو الوعاء الحجري الذي تحل فيه روح الإله أو جوهر قوته[٤١]،والحقيقة ان صناعة اجساد الالهة ظاهرة قديمة في العالم القديم تعود الى عصور ما قبل التاريخ، اذ صنع الانسان تماثيل طينية صغيرة لنسوة بدينات ربما كان ذلك راجعا بشكل رئيس الى تقديسهم للخصوبة، وكل ما يؤدي الى وفرة الانتاج في الحياة. فقد جسد الانسان ظاهرة الخصوبة والتكاثر بشكل امرأة حبلى تتميز بثديين كبيرين

ممتلئتين، وبطن منتفخة، وافخاذ ممتلئة، وارداف ذات حجم كبير، واخذ يصنع منحوتات صغيرة على هذا الشكل من العاج، والعظام، والحجر، والطين ويحفظها في مسكنه، ويدفنها مع موتاه، وكانت هذه الدمى تهيئ له الشعور بقدرته على السيطرة على القوة المنتجة، وتعرف هذه الدمى بمصطلح الآلهة الام(Mother Goddess)[٤٢]. وقد اكتشفت تماثيل الالهة الام في موقع جرمو الذي يُعد من اقدم القرى الزراعية في بلاد الرافدين، اذ يعود تاريخ المستوطن الزراعي الى العصر الحجري الحديث أي حوالي عام ٦٧٥٠ قبل الميلاد، وكانت على شكل دمى الطين المصنوعة بهيئة نسوة بدينات حُبلى مبالغ في كبر اثدائهن ربما تمثل إلهة الارض وخصبها، أو قوى الخصب والانجاب وقوى الطبيعة المولدة الغامضة؛ كما تم العثور في ملفعات وهو احد مواقع العصر الحجري الحديث على تماثيل مصنوعة من الصلصال وصغير الحجم يُعتقد بأنها تمثل الإلهة-الام. ومن العصر التالي وهو العصر الحجري المعدني(الالف السادس قبل الميلاد) اكتشفت دمى طينية سمجة الصنع قد تكون رموزا للإلهة الام، والتماثيل تصور مخلوقات بدينة جالسة أو جاثمة، وذات صدور وارداف كبيرة الحجم، وقد عُثر على تماثيل الالهة الام في موقع حسونة العائد للعصر الحجري المعدني (في حدود ٥٦٠٠ قبل الميلاد)، وكذلك في موقع تل الصوان من العصر نفسه. كما اكتشفت تماثيل الإلهة الام بوضعية الجلوس في موقع حلف، وكانت الإلهة الام مصنوعة بهيئة امرأة بدينة تضع يديها على ثدييها المبالغ في كبرهما، وجسمها مزين بخطوط ونقط يظن انها نوع من الوشم. وفي يارم-تبه كانت رؤوس التماثيل العائدة الى الإلهة الام ذات وجوه نحيلة واعناق رفيعة وطويلة بشكل يوحي بوجود غطاء للرؤوس مخروطي الشكل. وفي دور العبيد التالي لدور حلف استمرت تماثيل الإلهة الام بهيئة الجلوس حيث اكتشفت في الطبقة الثالثة عشر في موقع تبه گورا؛ اما في الجنوب حيث انتشر دور العبيد ليصبح اول دور حضاري في جنوب العراق فقد اختلف شكل الدمى التي عُدت رمزا للإلهة الام، اذ اصبح الجسم نحيفاً، منتصب القامة، والرأس بهيئة مثلث، أو ملفوف كالأفعى، أو يشبه السحالي، وينتهي بنقطة من القطران الجاف، ومُثل الشعر بطيات من القير، ولكن دخلت صفة جديدة، اذ صورت دمى الإلهة الام وهي تحمل طفلا على صدرها مما جعل الانجاب والتكاثر اكثر واقعية. وقد ظهر تمثيل جديد في عصر جمدة نصر لأشكال الإلهة الام وهو عبارة عن امرأة شابة رشيقة مع اثداء صغيرة مصبوغة، وفي بعض الاحيان تحمل المرأة بيدها ثدياها بثبات وهي تقدمها بشكل مثير، كما صورت الاعضاء الجنسية على شكل مثلث كبير ملأ‌لاً بنقاط ليعبر عن شعر العانة الخاص بها، اما شعر رأسها فقد تُرك طليقا أو على شكل ضفائر ويحيط بوجهها ويتدلى على كتفيها؛ اما في الاشكال الملونة فقد وضع مكياج المرأة بشكل ثقيل، كما يلاحظ في كل الحالات ان المرأة تلبس الجواهر على شكل اقراط أو اساور، وقلائد، أو حجول، أو كلهم مجتمعين معا[٤٣].

دأب الملوك الى تقديم تماثيل الآلهة إليها، بمعنى ادق منحوا الالهة اجسادها المادية، فحاكم لگش من عصر فجر السلالات(٢٩٠٠-٢٣٧١ قبل الميلاد) اور-نانشة(Ur-nanše) يشير في

نصوصه الى انه امر بصنع عدة تماثيل لمختلف الآلهة[٤٤]؛ وريموش(Rimuš)(٢٢٧٨-٢٢٧٠ قبل الميلاد) ملك اكد يذكر متفاخرا: "...منذ سالف الايام، لم يصنع أي شخص تمثال رصاص من اجل الاله اينليل، ريموش ملك كيش عمل تمثاله من الرصاص، واوقفه في حضرة الاله اينليل، لكي يفرض مكانته عند الالهة"[٤٥]. وگوديا(Gudea)(٢١٤٤-٢١٢٤ قبل الميلاد) امير لگش يتفاخر بانه صنع تمثال الاله نينگرسو(Ningirsu): "تمثاله قد صنع واقامه له في المعبد...وفي معبده ادخله له"[٤٦]. والملك اشبي-ايررا(Išbi-erra)(٢٠١٧-١٩٨٥ قبل الميلاد) الذي اعاد تعمير مدينة اور بعد الدمار الذي لحقها بسبب الغزو العيلامي، قام بنصب تمثال جديد للإله نانا الإله الأعلى لمدينة اور[٤٧].ونعرف ان ملك ايسن ليبيت-عشتار(Lipit-Ištar)(١٨٧٠-١٨٦٠ قبل الميلاد) وضع التمثال المقدس للربة گولا في معبدها في مدينة ايسن الموسوم: اي-گال-ماخ(É-gal-Maḫ)[٤٨].كما قام الملك اينليل-باني(Enlil-Bani) بصنع: "تمثالاً كبيراً من النحاس الى الاله نينورتا"، كما قام بعد ذلك بصنع: "تمثالا من الذهب الى الاله نينورتا"[٤٩].ويذكر ابي-سارة(Abi-sare)(١٩٠٥-١٨٩٥ قبل الميلاد) ملك لارسا من العصر البابلي القديم، انه قدم للإله نانا(Nanna) اله مدينة اور تمثالين: الاول مصنوع من الفضة، والاخر من العقيق واللازورد[٥٠].ونعرف ان ملك لارسا سومو-ايل(Sumu-il)(١٨٩٤-١٨٦٦ قبل الميلاد) اهدى الى الاله شمش تمثالا من الفضة[٥١]. وقد صنع سين-ايقيشام(Sin-Iqišam)(١٨٤٠-١٨٣٦ قبل الميلاد) ملك لارسا تماثيل من الفضة الذهب للإله شمش(Šamaš)في العام الثالث من حكمه: "قدم ١١ تمثالاً من الفضة وتمثال واحد من الذهب الى معبد شمش"[٥٢]. وفي العام الرابع قدم ١٤ تمثال من النحاس الى معبد نيبپور، وتمثال واحد من الذهب الى الإلهين شمش وزوجته شيريدا(Ŝerida) في معبد الإله شمش[٥٣]. في حين يؤكد الملك ريم-سين(١٨٢٢-١٧٦٣ قبل الميلاد) انه قدم في عام حكمه الثالث: "٤ تماثيل من النحاس الى معبد الإله نانا"[٥٤].وتخلد سنوات حكم ملك بابل سومو-لائيل(Sumu-lael)(١٨٨٠-١٨٤٥ قبل الميلاد) اقامته تماثيل للآلهة: صربانيتوم، وعشتار(Ištar)، ونانا(Nana)[٥٥]. وفي رقيم يعود تاريخه الى الملك البابلي سامسو-ديتانا(١٦٢٥-١٥٩٥ قبل الميلاد) يذكر اصناف الملابس والحلي الخاصة بالإلهة عشتار والتي كانت موجودة في احدى المعابد البابلية ومنها: تمثال من الفضة للإلهة[٥٦]. ونعرف ان احد ملوك ايشنونا ويدعى داننوم-تاخاز(Dannum-taḫaz)(١٨٠٢-١٧٩٩ قبل الميلاد) قدم تمثالين لمعبد الإله تيشپاك الاول: "تمثال برونزي يسير امام الجيش"، والثاني: "تمثال من البرونز في وضع الضرب"[٥٧].وهناك تمثال صغير صب على جزأين كان مكرسا للربة عشتار اربيلا من اجل حياة احد الملوك الاشوريين، وهو اشور-دان، ويظهر انه يمكن نسبته الى ثاني ملك يحمل هذا الاسم الذي حكم حوالي نهاية القرن العاشر قبل الميلاد(٩٣٥-٩١٢ قبل الميلاد)[٥٨]. وفي سيپپار(Sippar)، وبأمر ملكي من لدن الملك نابو-اپلي-ايددينا(Nabû-apla-iddina)(٨٨٨-٨٥٥ قبل الميلاد)، اقيم تمثال جديد للإله شمش(Ŝamaš) بدلاً من التمثال القديم الذي

اختفى بسبب اضطرابات السوتيين قبل مائتي عام[٥٩].ويفتخر الملك اشور-ناصر-اپلي الثاني(٨٨٣-٨٥٩ قبل الميلاد) بانه صنع تماثيل الالهة: "اقمت تماثيل مقدسة من البرونز في مداخلها، اجل لقد جعلت تماثيل اصحاب الجلالة الالهة تسطع بالذهب الاحمر، والاحجار الكريمة البراقة"[٦٠]. ويخبرنا الملك اشور-ناصر-اپلي عن صناعته تمثالاً فاخراً للإله نينورتا: "...صممت تمثال نينورتا، ليس مثل تلك التي كانت موجودة سابقاً، بل وفقاً لتصميم قلبي، كتمثال لإله عظيم، من احجار الجبال المختارة والذهب اللامع؛ لقد اعتبرته كإله اعظم لمدينة كالخو، واسست ولائمه في شهري شباطو(Ŝabâṭu) واولولو(Ululu)"[٦١]. وهناك تمثالان اشوريان للإله نابو في المتحف البريطاني اقامهما الملك ادد-ناراري الثالث(٨١١-٧٨٣ قبل الميلاد)[٦٢]. واشار الملك البابلي نابونائيد(Nabû-naʾid)(٥٥٦-٥٣٩ قبل الميلاد) الى حقيقة بأنه في عهد الملك السابق ايريبا-مردوك(Erība-marduk)(٧٦٩-٧٦١ قبل الميلاد) قام شعب اوروك(Uruk) بإزالة تمثال الالهة عشتار(Ištar) القديم من المعبد واقام تمثال آخر اقل فخامة في مكانه[٦٣].ويقول الملك سين-اخخي-ايريبا(٧٠٤-٦٨١ قبل الميلاد) عن نفسه انه: "صنع تمثال الاله اشور"(e-piš sal-am ^{d}Aššur)[٦٤]، أو: "صانع تمثال انشار(Anšar)(اشور)"[٦٥]. ويذكر دانيال ان الملك البابلي نبوخذنصر(الاسم التوراتي للملك نابو-كودوررري-اوصور) صنع تمثالاً لاحد الالهة من الذهب ارتفاعه ٦٠ ذراعا(٣٠م)، وعرضه ٦ اذرع(٣م)، ونصبه في سهل دورا في بلاد بابل(ربما تل دورا على بعد اميال قليلة الى الجنوب من مدينة بابل)[٦٦]. ويذكر هيرودوت انه في معبد الإله چوبيتر (مردوك) هناك تمثال قاعد من الذهب الخالص لهذا الإله[٦٧].وتشير الدلائل الى استمرار سكان بلاد الرافدين في صنع تماثيل الآلهة في العصور المتأخر، ويتحدث كاتب يهودي ربما عاش في القرن الثاني قبل الميلاد عن الالهة البابلية المصنوعة من الخشب والمطلية بالفضة والذهب[٦٨]. ويقول كاتب يهودي اخر عاش في العصر الهلنستي ان البابليين صنعوا تمثال للإله بال(بعل) من الطين المطلي بالنحاس[٦٩]. وفي الحضر عُثر على تمثال للإله نرگول-هرقل من الحجر وهو واقف ويرتكز على هراوته بيده اليمنى، وفي اليسرى يحمل جلد الاسد. وهناك تمثال اخر يظهر فيه نرگول-هرقل الذي يظهر عارياً وهو يستند الى هراوته ويحمل بيده اليسرى كأساً ويضع جلد الاسد على ذراعه الايسر. كما عُثر في المعبد الخامس في الحضر على تمثال فاقد الرأس واليدين يمثل الإله بعلشمين ويظهر وهو يرتدي الملابس العسكرية الرومانية المتكونة من قطع معدنية[٧٠].

- **الاحلام والعرافة: وسيلة الاتصال بين الآلهة والبشر.**

تمثل الاحلام الطريقة الامثل في بلاد الرافدين للاتصال بعالم الآلهة، فعن طريقها يتم معرفة ارادة الآلهة، ورغباتها، وما تريده من البشر؛ وعن طريقها يتم اللقاء مع الآلهة؛ ولما كان من غير الممكن ان تقدم امثلة كثيرة لذا سنكتفي بمثال تقليدي، ولكن مهم، وهو حلم گوديا(Gudea)، الذي يُعد من اشهر الأحلام في الادبيات القديمة، ففي الاسطوانة الأولى(A) يبارك اينليل مدينة لگش، ويقرر ضرورة بناء

معبد إي–نيننو، لأجل ابنه نينگرسو، وفقاً للتصميم السماوي، وذلك عن طريق ترتيبات شعائرية اصولية. وهنا يرى گوديا حلمه الأول، وفيه يلتقي بالإله نينگرسو، ويأمره ببناء بيت له.:

"فيما يخص ملكه، في ذلك اليوم في الحلم
تطلع گوديا هناك الى السيد، الإله نينگرسو
فأمره ان يشيد معبده
جعله يضع نصب العين معبد أي–نيننو(É–ninnu) بحسب نواميسه العظيمة".

لكن گوديا لم يفهم كل ما اراده الاله في الحلم فقرر ان يذهب الى الى اخته الالهة نانشة(Nanše) التي تسكن مدينة سيرارا(Sirara) والتي كانت مسؤولة عن تفسير الاحلام:

"طويل باله گوديا
استوعب الكلمة:
سأذهب لأخبرها، سأذهب لأخبرها
بهذا الامر، فعسى ان تقف معي
لقد وجه(الامر) إلي، انا الراعي، بشكل اميري
شيء بالحلم جاء
(وانا) ما عرفت فحواه
سأذهب بحلمي الى امي
هي مفسرة احلامي الطاهرة، عارفة ناموس الحياة
انها إلهتي نانشة، الاخت الالهية في سيرارا
عساها ان تفصح عن معناه".

وفي طريقه الى مدينة سيرارا توقف عند معبد الالهة گاتومدوگ وقدم قرباناً من خبز و ماء بارد؛ وعندما وصل الى معبد الالهة نانشة في مدينة سيرارا وقف اولاً في ساحة المعبد ورفع راسه نحو السماء داعياً اياها لمساعدته، وبعد ذلك قدم قرباناً من الخبز و الماء البارد، ومن ثم توجه الى تمثالها وقدم صلاته لها ثم اخبرها عن حلمه:

"في مدينتها نينا، ارسى قاربه عند رصيف مدينة نينا
الحاكم، في باحة الإلهة من مدينة سيرارا رفع رأسه نحو السماء
قدم الطعام،(و) سكب الماء البارد
سار الى الإلهة ناشة وتضرع لها:
الإلهة نانشة، السيدة المهيبة، سيدة النواميس الالهية الثمينة
السيدة التي تقرر المصائر مثل الاله اينليل

الهتي نانشة، ان كلامك صادق
طالع الى اعلى مداه
انت مفسرة الاحلام للآلهة
انت ملكة البلدان، الام التي تفسر الحلم
في وسط الحلم كان هناك شخص واحد، مثل السماء حجمه
ومثل الارض حجمه
انه فيما يخص رأسه، إله هو
فيما يخص جناحه، طائر العاصفة ايمدوگود(Imdugud) هو
فيما يخص اندفاعه فهو الطوفان
على يمينه(و) على يساره ربض اسدان
اعطاني امراً ببناء معبده
لكنني لم افهم معناه
طلعت لي شمس من الافق
كانت هناك انثى واحدة، من لم تكن هي؟ ومن كانت؟
حاسرة الرأس كانت، وقد سرحت الشعر
كانت تمسك قلما من الفضة الناصعة
(و) اوجدت لوحا من نجم السماء مبشراً بالخير
كانت تتشاور معه
ومن ثم كان هناك بطل
ثنى ذراعه،(و) امسك لوحا من اللازورد
للمعبد وضع خططه
امامي انتصبت سلة طاهرة
استقام قالب لبن
وجدت آجرة القدر في قالب اللبن
انتصبت شجرة حور طيبة امامي
طائر تيبو(Tibu) كان حائما طوال اليوم
قائد عند يمين ملكي، كان يحفر الارض".

وبعد ان انتهى گوديا من سرد حلمه على الالهة نانشة اجابته قائلة: "ايها الراعي التابع لي، لأفسرن لك حلمك"، فالرجل الذي حجمه بحجم السماء والارض هو الاله نينگرسو وانه اعطى گوديا امراً: "ببناء

البيت، معبد الخمسين(اي–نيننو/É–ninnu)؛ اما الشمس التي بزغت له من الافق فهو الإله نينگيشززيدا(Ningišzzida)؛ والمرأة الشابة هي الإلهة نيسابا(Nisaba) حيث دعته: "للبناء في المعبد بموجب النجم المقدس"؛ والبطل الذي يحمل بيديه لوحاً من اللازورد ومرسوم عليها مخطط المعبد، انه الاله نيندوبا(Ninduba) حيث قدم لـ گوديا المخطط الذي يجب ان يكون عليه المعبد، بعد ان قدم لك سلة العمل وقالب الطابوق، اما شجرة الحور المنتصبة امامه وطائر التيبو الذي كان حائماً طوال اليوم فيعني: "ان النوم لن يمس عينيك في اثناء بناء المعبد"؛ اما القائد الواقف الى يمين الاله نينگرسو فهو گوديا ذاته يحفر: "الارض لمعبد الخمسين مثل خادم المعبد". وبعد ذلك جمع گوديا اهل لگش وجعلهم كأنهم: "ابناء ام واحدة"، واحل السلام والطمأنينة في كل بيت، ثم نقض المعبد القديم: "وطهر المدينة القديمة واحاطها بالنار...وجمع الطين من كل موضع طاهر، وفي مكان مطهر صنع منه الآجر بالقالب، لقد اتبع الشعائر بجميع امجادها، وطهر اسس المعبد محيطاً اياه بالنار، ومسح الدكة(المصطبة) بالبلسم المعطر". ثم تنصح نانشة الحاكم گوديا باسترضاء نينگرسو بصناعة عربة مهيبة كي يُفصح الإله عن المزيد بخصوص المعبد؛ وتصف نانشة العربة بالتفصيل، ويتبع گوديا التعليمات بدقة، ويصنع العربة، ويأتي بها الى معبد إي–نيننو(قبل توسعته وإعماره). ويُحضّر گوديا عدداً من الطقوس، ويقدم اضحية عند جزء من المعبد يدعى شوگالام(Šugalam)، ويشعل البخور، ويسأل نينگرسو النصيحة. وعندما ينام تأتيه الرؤيا الثانية والتي كان محورها:

- تمجيداً لجلال المعبد، سوف تفوق نواميس المعبد نظيراتها في المعابد الأخرى، وستكون بهية ومخيفة كما طائر الرعد، وسوف تشع مهابة وخوفاً على اراضي الغرباء.
- يمجّد نينگرسو ذاته، ويذكر معابده الأخرى، ويصف كيف ستزدهر لگش حالما يبدأ بناء معبد إي–نيننو.
- يتحدث نينگرسو عن مواد البناء اللازمة، ومن أين يتم جلبها، ويؤكد بأن المهمة سوف لن تكون شاقة، ثم يقول بأن النيران سوف تحيط بالمبنى حال اكماله(ربما دلالة على طقس للتكريس).

عند صحوته من الرؤيا، يُضحي گوديا بطفل ابيض، ويمارس العرافة، ويحصل على فأل حسن، ويبدأ بتسخير العمال في لگش، ولا يسمح لأحد بتعكير الاجواء بإساءة السلوك أو حتى بتقديم شكوى؛ ويتم تطهير المدينة شعائرياً بالنار، ويُطرد كل شخص غير طاهر من المنطقة؛ ويأخذ گوديا طفلاً آخر كي يتكهن بعملية صناعة اللبن، ثم يرفع گوديا راية تحمل شعار طائر الرعد عند سقيفة قالب البن، وحفر الصلصال. ويطهر گوديا، ويبارك ربوة المعبد بإشعال البخور، ويقضي المساء مقدماً النذور ومصلياً لآلهة لگش كي تقف الى جانبه. ومن اجل الحصول على المواد الأولية تُفرض ضرائب اضافية على سكان المدينة[٧١].

كانت العرافة من ضمن اختصاصات الآلهة، وكان الإلهين ادد(Adad) وشمش(Ŝamaš)، هما المسؤولان عن العرافة، وتذكر احدى الاساطير انه:

"بعد ان قام آنو بخلق السماء

(و) ايا بتأسيس الارض

رمى سين الباسل الزهر:

(وقال): أي شمش، انت الذي جمع(اسرار) العرافة(؟)"[٧٢].

ونقرأ في النصوص عبارات: "الإلهان شمش(Ŝamaš) وادد(Adad) الآلهة العظام، سادة العرافة"[٧٣]؛ و: "الاله ادد حكيم الالهة، سيد العرافة"[٧٤]، دلالة على ارتباط هذا الفعل بالآلهة. ويذكر الملك اشور-اخا-ايددينا(Aššur-aḫa-iddina)(٦٨٠-٦٦٩ قبل الميلاد) ان والده سين-اخخي-ايريبا(Sîn-aḫḫī-erība)(٧٠٤-٦٨١ قبل الميلاد) قبل ان يختاره ولياً للعهد استشارا الهي العرافة: " كنت الاصغر بين اخوتي البالغين، لكن والدي عظمني في مجلس اخوتي نزولا على ارادة الآلهة اشور، وسين، وشمش، وبيل، ونابو، وعشتار اربيل، قائلاً: هذا هو وريثي، واستشار الإلهين شمش ادد الهي العرافة، الذين قالا له: (بحزم): انه هو وريثك. وقد اظهر والدي الاحترام اللائق لكلمتيهما المهيبتين"[٧٥].وقد مورست العرافة من قبل الملوك بشكل اعتيادي، وكانت في كثير من الحالات تتضمن تقديم قربان كما هو الحال في طريقة قراءة احشاء الحيوان المضحى، ففضلا عن الهدف الاصلي للتضحية هنا هو الحصول على قراءة للمستقبل من خلال معرفة ارادة الاله عن طريق الاحشاء، فإن الحيوان المقدم بحد ذاته يمثل قربانا واضحية للإله، لذا نجد الإله ايررا(Erra) يقول متفاخراً انه سينزل الدمار بمدينة بابل الامر الذي سيؤدي الى نتائج سلبية فيما يخص طقس العرافة:"(وحتى) من اجل امير، سوف تكون نادرة حملان الكهانة امام شمش"[٧٦].وكان علم العرافة أو قراءة الطالع في بلاد الرافدين يمثل سلاحا لطرد الشر، لذا كان الشر المتنبئ به يمكن تجنبه، وكانت نتائج اي عمل شرير يقصد تنفيذه يمكن ان تُمنع مقدما باستعمال العرافة. وان اشهر وسائل العرافة كانت فحص احشاء خروف أو حيوان اخر، وكانت اكثر الاحشاء استخداما هي الرئتين والقلب والكبد، لاسيما الاخير[٧٧].وتعتمد هذه الطريقة على اعتقاد بوجود علاقة بين الاله الذي يُقرب اليه الحيوان المضحى به والحيوان نفسه، اذ عندما يُضحى بالحيوان ويقدم الى الاله فإنه يكون جزءً من الاله كما يكون جزءً من اجسام الناس الذين يأكلونه فتكون روح الاله أو نفسه، نفس الذبيحة أو روحها، أو ان روح الحيوان تتمثل بروح الاله، وعلى ذلك فمن الممكن للبشر ان يتطلعوا الى روح الاله ومن ثم معرفة ارادته بدراسة روح الذبيحة، وبما ان روح الذبيحة توجد في كبدها الذي يعد مقراً للحياة، فإنه يمكن عن طريق الكبد مشاهدة نوايا الاله، أي ان هذا العضو كان يسمح للمرء ان يرى فيه، كما يرى في المرآة، جواب الاله الذي تقبل الحيوان المضحى به كتقدمة، وقد كان من الضروري لمباشرة ادراك الغيب عن طريق الكبد ان يُختار حيوان خاليا من العيوب. وقد استنبط العرافون من شكل الكبد ولونه وتضخمه أو ضموره وما فيه من فقاقيع وتشققات ووضع الغدة الصفراء والقنوات ما يريدونه من عرافة، وقد نظموا ذلك كله في قوائم خاصة تعرف بين الباحثين بالعرافة المستمدة من الكبد، مثل الملاحظات

التي دونت والتي بنيت على الاحداث التي حلت بالأسرة الاكدية، ولدى المتحف البريطاني كبد من الطين ينقسم الى خمسين قسما يتصل كل منها بعلامة من العلامات المختلفة(٧٨). وكان اسلوب عمل العراف واضح المعالم، اذ كان يخاطب الالهة الذين يقرأ جوابهم في احشاء الحيوان المضحى به، وكان الالهان ادد وشمش هما من يعطي الاجابات النهائية، بالإيجاب أو النفي على السؤال المطروح، فبعد ان يضحى بالحيوان تفحص احشاءه، فاذا كانت الاحشاء ملائمة، واجاب الاله بالإيجاب يكون الامر على ما يرام، وبعكس ذلك يمكن تكرار الاجراء حتى تتحقق نتيجة مناسبة. وقد عدد احد النصوص العلامات التي يكشفها العراف في الكبد، وحدد اي العلامات مناسبة، وايها غير مناسبة(٧٩). ويشترط في الاضحية الحيوانية المقدمة لمعرفة المستقبل عن طريق العرافة تكون خالية من العيوب، كذلك ينطبق الامر على الشخص الذي قدمها، والعراف المسؤول عن الطقس: "يا شمش، السيد العظيم، اسألك اجبني بـ نعم دون التباس....لا تقم وزنا اذا كان هذا الخروف المخصص لألوهيتك العظيمة لإجراء هذه الاستشارة ناقصا أو معيبا؛ لا تقم وزنا اذا كان الذي لمس جبهة هذا الخروف يحمل ثيابا وسخة عند اجراء هذه التقدمة النظامية، واذا اكل أو شرب أو استخدم لتدهينه شيئا غير طاهر، واذا شعر خلال الليل بالهلع والفزع، واذا غير، أو زاد، أو شوه وصفة الحركات، واذا لمس جعة التقدمة، والطحين المحمص، والماء، والاناء، والبخور، والنار؛ لا تقم وزنا اذا كنت انت العراف، خادمك، لبس ثيابا وسخة لهذه التقدمة النظامية، واذا اكلت أو شربت، أو استخدمت لتدهيني، أو لمست، أو وطئت شيئا غير طاهر، واذا خلال الليل شعرت بالهلع، والفزع، واذا غيرت، أو شوهت وصفة الحركات، واذا كانت عبارات الطلب غامضة في فمي، أو مختصرة، أو مقتصرة على الاساسي. يا شمش، السيد العظيم، انا اسألك، كن حاضرا داخل هذا الخروف، وضع فيه نعم دون التباس، يمكنني ان اتحقق منها رسوما مواتية، واستعدادات حسنة مواتية تكون التعبير عن إنعام وقرار الوهيتك العظيمة. يا شمش، السيد العظيم، لتُسر الوهيتك العظيمة بأن تعطي جوابا كاملا"(٨٠).وكان الملوك يستشيرون الطالع قبل اتخاذ اي قرار مهم، وكان يتوقع ان يفعل الملك الشيء نفسه في شؤون الدولة، فالملك اگوم كاكريمه(Agūm Kâkrime)(١٦٠٢-١٥٨٥ قبل الميلاد) يقول: "سألت الملك الاله شمش عن طريق ذبيحة العراف...."(٨١)؛ واستشار اشور-اخا-ايددينا(٦٨١-٦٦٩ قبل الميلاد) الطالع قبل ان يقرر تزويج ابنته الى ملك سكيثي؛ ولم يشيد من عهد گوديا الى نابونائيد اي معبد قبل الحصول على طالع مبشر بالنجاح اولا؛ وكانت القرارات العسكرية ايضا تخضع لتأكيد العرافة، وتوجد ادلة وافرة على ان كاهن العرافة كان يرافق اي حملة رئيسة يقوم بها الجيش(٨٢)، اذ لم يكن الملك الاشوري يقوم بأي حملة عسكرية دون استشارة الالهة بواسطة العرافين الذين يقومون بدراسة امعاء الاضاحي(٨٣)، فالإله شمش قد خط على احشاء الاضحية نذرا يشير الى انه سيسير الى جانب الملك سرجون الاشوري(٧٢١-٧٠٥ قبل الميلاد) في حملته ضد موصاصير(٨٤)؛ وعندما تولى اورتاكي(Urtaki)(٦٧٥-٦٦٣ قبل الميلاد) العرش العيلامي قرر تحسين علاقاته مع اشور

فبعث برسالة الى الملك الاشوري اشور –اخا–ايددينا مليئة بعبارات المجاملة، لذا فان اول ما قام به الملك الاشوري هو محاولة معرفة النوايا الحقيقية للملك العيلامي، فذهب يستخير الاله شمش، لذا نجده يقدم كبشا لمعرفة الحقيقة: "الى شمش السيد العظيم، امنحني ردا حول ما سألت عنه، اذ ارسل اورتاكي ملك عيلام هذا المقترح لعقد السلام الى اشور –اخا–ايددينا ملك اشور هل اسر عن حسن النية، (و)الكلمات الصادقة الصحيحة للتصالح مع اسرحدون ملك بلاد اشور، ضع لي في هذا الكبش ردا حاسما ايجابيا"(٨٥).

الخلاصة:

١. في بلاد الرافدين على الإنسان ان يكون تقياً وهو واجب حتمي أي ان عليه يخاف الالهة، وهذا الخوف وتلك التقوى يعبر عنها ذلك الانسان عن طريق الصلاة.
٢. ان الصلاة بمفهومها العام تمثل تواصل سحري بين الإنسان والقوى الإلهية التي تحكم العالم والكون.
٣. يمثل القربان وسيلة الاتصال الاهم بين الانسان والقوى العليا، وهو تقديم شيء نملكه لإرضاء الإله، وهذا الشيء يدمر أما بالقتل أو بالحرق أو بالإغراق، أو وهب أو إفناء شيء حي أو جامد من اجل نقله من ملكية البشر إلى ملكية القوى الروحية أو الإلهية. وابسط شكل له هو التقدمات والهدايا من كل نوع على أمل إرضاء الأرواح.
٤. ان البخور حسب معتقدات القدماء تساعد المتعبد للوصول الى حالة الانسجام مع القوى العليا، وتحدث نشاطا روحياً قوياً، فضلا عن تطهير الجو. لذا كانت جزءً رئيساً من الشعائر الدينية.
٥. يمثل الإله بحد ذاته وسيلة اتصال مع عالم الآلهة عن طريقين، اما عن طريق إله شخصي، أو عن طريق كون الإنسان يغدو ابناً للإله.
٦. كان من وسائل الاتصال الضرورية بين الانسان والالوهية هي وجود تمثال الإله على الأرض؛ فتمثال الإله هو المستودع أو الوعاء الحجري الذي تحل فيه روح الإله أو جوهر قوته.
٧. تمثل الاحلام الطريقة الامثل في بلاد الرافدين للاتصال بعالم الآلهة، فعن طريقها يتم معرفة ارادة الآلهة، ورغباتها، وما تريده من البشر؛ وعن طريقها يتم اللقاء مع الآلهة.

الهوامش:

[1]) MDA, No.26.

[2]) CDA , P. 4.

[٣]) يوسف شلحت، نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني،(بيروت: دار الفارابي،٢٠٠٣)،ص٧٥.

[٤]) المصدر نفسه،ص٧٧.

[٥]) اسامة عدنان يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة: دراسة تاريخية مقارنة،(بغداد: اشوربانيبال للكتاب،٢٠١٦)،ص١٧٣.

[٦]) بوبيه، المسؤولية الجزائية،ص١١٧.

[٧]) رينيه لابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين: مختارات من النصوص البابلية، ترجمة: البير ابونا ووليد الجادر،(بغداد: مطبعة التعليم العالي،١٩٨٨)، ص ١٢١ .

[٨]) بوبيه، المسؤولية الجزائية،ص٤٦.

[٩]) نائل حنون، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٦)،ص١٥٢-١٥٣.

[١٠]) أ. س. بوكيت، مقارنة الأديان، ترجمة: رنا سامي الخش،(حلب: دار الرضوان: بلا.ت)،ص٢٩؛ جون ب. نوس، "أهم الخصائص المميزة للدين في المجتمعات البدائية"، بحث ضمن موسوعة: تاريخ الاديان،: تحرير: فراس السواح،(دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة،٢٠٠٦)،ج١،ص٣١-٣٢؛ حبيب سعيد،اديان العالم،(القاهرة:دار التأليف والنشر للكنيسة الاسقفية،بلا.ت)،ص٢٤-٢٥.

[١١]) صموئيل نوح كريمر، من الواح سومر، ترجمة: طه باقر،(القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٩٥٧)،ص١٩١؛ كريمر، "الديانة السومرية"، بحث ضمن موسوعة: تاريخ الاديان، تحرير: فراس السواح،(دمشق: دار علاء الدين،٢٠٠٤)،ج٢،ص١٩٧؛ فاضل عبد الواحد علي، من الواح سومر الى التوراة،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٩)،ص ١٠٨؛ سامي سعيد الاحمد، السومريون،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠)،ص٢٥.

[١٢]) مارغريت روتن، علوم البابليين، ترجمة: يوسف حبي،(بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٠)،ص٥١.

[١٣]) صموئيل هنري هوك، ديانة بابل واشور، بحث ضمن موسوعة: تاريخ الاديان، تحرير: فراس السواح،(دمشق: دار علاء الدين،٢٠٠٤)،ج٢،ص٢٦١.

[١٤]) جان بوتيرو، بلاد الرافدين: الكتابة-العقل-الآلهة، ترجمة: البير ابونا، مراجعة: وليد الجادر،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠)،ص ٢٧٣.

[١٥]) قاسم الشواف، ديوان الاساطير،(بيروت: دار الساقي،١٩٩٧)ج٢،ص١٩٥.

[١٦]) جورج بوبيه ، المسؤولية الجزائية في الآداب الاشورية والبابلية، ترجمة: سليم الصويص،(بغداد: شركة المطابع النموذجية،١٩٨١)،ص ١٥٤ .

[١٧]) سامي سعيد الاحمد، العراق القديم،(بغداد: مطبعة جامعة بغداد،١٩٨٣)،ج٢،ص ١١٢.

[١٨]) هاري ساگز ، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان،(الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٩)،ص٤١٧.

[١٩]) ل. ديلابورت، بلاد ما بين النهرين: الحضارتان البابلية والاشورية، ترجمة: محرم كمال، مراجعة: عبد المنعم ابو بكر،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٧)،ص١٦٣؛ فاضل عبد الواحد علي، سومر اسطورة وملحمة،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٩٧)،ص ٢٧٠ ؛ صلاح سلمان رميض الجبوري، ادب الحكمة في بلاد الرافدين،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،٢٠٠٠)،ص ١١٤- ١١٥؛ عبد الرحمن يونس عبد الرحمن، "التبخير واستخداماته في معالجة بعض الامراض عند العراقيين القدماء"، مجلة اثار الرافدين، جامعة الموصل،المجلد:٢، العدد: ١، لسنة: ٢٠١٣،ص١٦٣.

[٢٠]) نائل حنون، نصوص مسمارية تاريخية وادبية: الترجمة المباشرة من الاصول المسمارية مع الشروحات والتعقيبات اللغوية،(بيروت: دار التنوير،٢٠١٥)،ص٣٤٣-٣٤٤؛ الشواف، ديوان الاساطير،ج٢،ص٤٣٥.

[٢١]) الشواف، ديوان الاساطير،ج٢،ص٤٢٢.

[22]) Sidney Smith , Babylonian Historical Texts , (London , 1924) , P. 91 ; A. Leo Oppenheim , Nabonidus and The Clergy For Babylon , In , ANET, (New Jersey , 1966) ,P.315 .

اسامة عدنان يحيى، بابل في العصر الاخميني(٥٣٩-٣٣١ قبل الميلاد)،(رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب،٢٠٠٣)ص١٢٧ .

[٢٣]) حكمت بشير الاسود، ادب الغزل ومشاهد الاثارة في الحضارة العراقية القديمة،(دمشق: دار المدى للثقافة والنشر،٢٠٠٨)،ص٢٩٢.

[24]) MDA,No.597; CDA,P.252;

علي ياسين الجبوري، قاموس اللغة الاكدية-العربية،(ابو ظبي: هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث،٢٠١٠)،ص٤١٥.

[٢٥]) امل عبدالله احمد، "الاواني الطقسية والنذرية في معابد العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية المنشورة"،مجلة التربية والعلم،جامعة الموصل،المجلد:٢٠،العدد:٤،لسنة:٢٠١٣،ص١٣٠؛ سيتون لويد، اثار بلاد الرافدين: من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، ترجمة: محمد طلب،(دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر،١٩٩٣)،ص٦٠.

[٢٦]) الاسود، ادب الغزل ومشاهد الاثارة في الحضارة العراقية القديمة،ص٢٥٧.

[27]) MDA,No.597;CDA,P.165;

الجبوري، قاموس اللغة الاكدية-العربية،ص٢٨٤.

[٢٨]) احمد، الاواني الطقسية في معابد العراق القديم،ص١٣٢.

[٢٩]) الاحمد، السومريون،ص٢١.

[٣٠]) رضا جواد الهاشمي،" القانون و الاحوال الشخصية"، بحث ضمن كتاب: حضارة العراق،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥)،ج٢،ص٩٦.

[٣١]) ثوركيلد جاكوبسن، "ارض الرافدين"، بحث ضمن كتاب: ما قبل الفلسفة، ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٠)،ص ٢٤١- ٢٤٢ ؛ الجبوري، ادب الحكمة،ص١٧٠- ١٧١.

[٣٢]) كريمر ، الديانة السومرية،ص١٩٩.

[٣٣]) الجبوري، ادب الحكمة،ص١٩٢.

[٣٤]) رياض عبد الرحمن امين الدوري، اشوربانيبال سيرته ومنجزاته،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،٢٠٠١)،ص ٣٥.

[٣٥]) عبد القادر عبد الجبار الشيخلي، "الادارة و السياسة "، بحث ضمن موسوعة : العراق في موكب الحضارة : الاصالة والتأثير ، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٨)، ج١،ص٣٢٧.

[٣٦]) فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة،(بغداد: دار الحرية للطباعة،١٩٧٩)،ص٨٧؛فوزي رشيد، "الشرائع"، بحث ضمن موسوعة : العراق في موكب الحضارة: الاصالة والتأثير،(بغداد: دار الحرية للطباعة،١٩٨٨)،ج١،ص٢٤٥.

[٣٧]) الدوري، اشوربانيبال،ص٣٥.

[٣٨]) الاحمد ، العراق القديم،ج٢،ص٢٣٠.

[٣٩]) سامي سعيد الاحمد، سميراميس،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،١٩٨٨)،ص٢٩.

[٤٠]) الدوري، اشوربانيبال،ص٣٥.

[٤١]) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،(بيروت: دار الوراق للطباعة والنشر،٢٠٠٩)،ج١،ص٣٦٩.

[٤٢]) الاسود، ادب الغزل ومشاهد الاثارة في الحضارة العراقية القديمة،ص٣٥، ١٦٣.

[43]) J. Mellaart, "The Earliest Settlements in Western Asia From The Ninth to the End of The Fifth Millennium B.C", in: CAH,(Cambridge,2008),Vol:1,Part:2,P.271.

باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج١،ص٢٢٠، ٢٢٥، ٢٤٦-٢٤٧، ٢٥٧؛الاسود، ادب الغزل ومشاهد الاثارة في الحضارة العراقية القديمة،ص١٦٠، ١٦٣؛احمد امين سليم، مصر والعراق: دراسة حضارية،(بيروت: دار النهضة العربية،٢٠٠٢)،ص٣٩٣؛ صلاح رشيد الصالحي، بلاد الرافدين: دراسة في تاريخ وحضارة العراق القديم،(بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،٢٠١٧)،ج١،ص٧٤، ٧٦، ٨٢، ٩٠؛ لويد، اثار بلاد الرافدين،ص٦٥، ١١٦.

[٤٤]) الصالحي، بلاد الرافدين،ج١،ص١١٥.

[٤٥]) نائل حنون، نصوص مسمارية تاريخية وادبية: الترجمة المباشرة من الاصول المسمارية مع الشروحات والتعقيبات اللغوية،(بيروت: دار التنوير،٢٠١٥)، نص رقم:٢،المقطع السومري، العمود: ٢٧،الاسطر:٤-٢٠؛المقطع الاكدي، العمود: ٢٨،الاسطر: ٤-٢٠،ص٥٩.

[٤٦]) فوزي رشيد، ترجمات لنصوص سومرية ملكية،(بغداد:بلا.مط،١٩٨٥)، نص رقم:١٧،العمود:٢-٧،ص١٣١.

[٤٧]) الصالحي، بلاد الرافدين،ج١،ص٣١٣.

[٤٨]) عباس علي الحسيني، مملكة ايسن بين الارث السومري والسيادة الامورية،(دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب،٢٠٠٤)،ص٢٠؛ الصالحي، بلاد الرافدين،ج١،ص٣١٦.

[٤٩]) الحسيني، مملكة ايسن،ص٥٩.

[٥٠]) ديلابورت، بلاد ما بين النهرين،ص٤٣؛محمد بيومي مهران، تاريخ العراق القديم،(الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية،١٩٩٠)،ص٢٠٣؛ جاسم شهد وهد، الصلات السياسية بين ممالك العراق في العصر البابلي القديم(٢٠٠٤-١٥٩٥ قبل الميلاد)،(رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية التربية،٢٠٠٧)،ص١٩-٢٠.

[٥١]) ديلابورت، بلاد ما بين النهرين،ص٤٣.

[٥٢]) ديلابورت، بلاد ما بين النهرين،ص١٨٣؛ الصالحي، بلاد الرافدين،ج١،ص٣٢٨-٣٢٩.

[٥٣]) الصالحي، بلاد الرافدين،ج١،ص٣٢٩.

[٥٤]) المصدر نفسه،ج١،ص٣٣٠.

[٥٥]) ديلابورت، بلاد ما بين النهرين،ص٤٤.

[٥٦]) الاسود، ادب الغزل ومشاهد الاثارة في الحضارة العراقية القديمة،ص٢٦-٢٧.

[٥٧]) الصالحي، بلاد الرافدين،ج١،ص٣٥١.

[٥٨]) ديلابورت، بلاد ما بين النهرين،ص٣٣٨.

[٥٩]) الصالحي، بلاد الرافدين،ج٢،ص٤٣.

[٦٠]) احمد مالك الفتيان، نظام الحكم في العصر الاشوري الحديث،(اطروحة دكتوراه غير منشورة،جامعة بغداد،كلية الاداب،١٩٩١)،ص١٧١.

[61]) ARAB,Vol:1,No.525;

شيبان ثابت الراوي، اشورناصربال الثاني ٨٨٣-٨٥٩ قبل الميلاد: سيرته واعماله،(رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب،١٩٨٦)،ص١٥١.

[٦٢]) هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية،(بيروت: جروس برس،١٩٩١)،ص٨٣٢.

[٦٣]) الصالحي، بلاد الرافدين،ج٢،ص٧٦.

[٦٤]) طالب منعم حبيب، سنحاريب سيرته ومنجزاته(٧٠٤-٦٨١ قبل الميلاد)،(رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الادآب،١٩٨٦)،ص٣٠.

[٦٥]) سامي سعيد الاحمد، "بلاد بابل تحت الحكم الاشوري: من تجلاتبلاصر الثالث حتى وفاة اسرحدون(٧٤٥-٦٦٩ قبل الميلاد"، بحث ضمن: بحوث اثار حوض سد صدام وبحوث اخرى،(بغداد: المؤسسة العامة للآثار والتراث،١٩٨٧)،ص٢٥٦.

[٦٦]) دانيال،٣: ١.

[٦٧]) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج١،ص٦٣٠.

[٦٨]) رسالة ارميا: ٣، ٨، ٢٩، ٣٨، ٥٠، ٥٤، ٥٦، ٦٩.

[٦٩]) دانيال اليوناني،١٤: ٧.

[٧٠]) سعد عبود سمار، "اثر الميثولوجيا الدينية في المعتقدات الحربية عند العرب قبل الاسلام"،مجلة جامعة واسط للعلوم الانسانية،المجلد:١١،العدد:٣٠،لسنة:٢٠١٥،ص٢٠-٢١.

[٧١]) انظر نصوص بناء معبد إي-نيننو في:

Adam Falkenstein and Wolfram Von Sodn, Sumerische und Akkadische Hymnen und Gebete,(Stuttgart, 1953),PP.57-231;

حنون، نصوص مسمارية تاريخية وادبية،ص١٥٨-١٧٩؛ رشيد، ترجمات لنصوص سومرية ملكية، نص رقم:١٩،العمود:٥،الاسطر:١٥-٣٦، ٤٥-٥٨- العمود:٦،الاسطر:١-٢،ص١٣٨-١٤٠؛انظر نص مشابه في: نص رقم:٢١،العمود:٢،الاسطر:٧-١٠،ص١٦٦؛ انظر كذلك:

Samuel Noah Kramer, "The Temple in Sumerian Literature", in: The Temple Society, edited By: Michael V. Fox,(USA,1988),PP.2-7;

باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج١،ص٤١٢-٤١٣؛ انطوان مورتگات، تاريخ الشرق الادنى القديم، ترجمة: توفيق سليمان واخرون، (بلا. مط، بلا.ت)،ص١١١- ١١٥؛ جاكوبسن، ارض الرافدين،ص٢٢٤- ٢٢٦؛ جورج رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٤)، ٢٢٩- ٢٣١؛ ساگز ، عظمة بابل،ص٤٢٠،٤١٨- ٤٢٣؛ عبد العزيز صالح، الشرق الادنى القديم، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، ١٩٦٧)،ج١،ص٤٢٨؛ روتن، علوم البابليين،ص١٠٠؛ نيكولاس بوستغيت، حضارة العراق واثاره، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجلبي، (بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر ، ١٩٩١)،ص٧٨ ؛الاحمد، العراق القديم،ج٢،ص٩٦ ؛عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، (بيروت: دار الخلود للطباعة و النشر،١٩٨١)،ص٤٧٢-٤٧٣؛ فوزي رشيد، السياسة و الدين في العراق القديم،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣)،ص٣٤- ٣٦؛يحيى، الالهة في رؤية الانسان العراقي القديم،ص١٤٨؛سليم،دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم،ص٢٨٥-٢٨٦؛ وهد، الصلات السياسية بين ممالك العراق،ص٨؛ طرقجي، دمشق وغوطتها،ص٥٩؛ محمد، القاب حكام وملوك العراق القديم،ص٧٦؛ بسام تيرانو، بوابات معبد اياننو: التحليل الأسطوري والوظيفي،(بغداد: اشوربانيبال للثقافة،٢٠١٨)،ص٢١-٢٥.

[٧٢]) قاسم الشواف، ديوان الاساطير،سومر واكد واشور ،(بيروت: دار الساقي،٢٠٠١)ج٢،ص٦٨.

[٧٣]) حنون، نصوص مسمارية تاريخية وادبية،ص١١٣.

[٧٤]) المصدر نفسه،ص١٣٠.

[75]) ARAB,II,No.500;

الصالحي، بلاد الرافدين،ج٢،ص٢٠٣.

[٧٦]) الشواف، ديوان الاساطير، ،ج٤،ص٥٢١.

[٧٧]) بوستغيت، حضارة العراق واثاره،ص٢٣.

[٧٨]) ديلابورت، بلاد ما بين النهرين،ص١٥٥؛ سليم، مصر والعراق: دراسة حضارية،ص٤٣١-٤٣٢.

[٧٩]) ديلابورت، بلاد ما بين النهرين،ص١٥٥؛بوستغيت،حضارة العراق واثاره،ص٢٣-٢٤.

[٨٠]) فاتن موفق فاضل علي الشاكر، "الادعية في المعتقدات العراقية القديمة"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكريت، المجلد:٣، العدد: ٨، لسنة: ٢٠١١،ص٨.

[٨١]) حنون، نصوص مسمارية تاريخية وادبية،ص١١٠.

[٨٢]) بوستغيت، حضارة العراق واثاره،ص٢٤.

[٨٣]) ديلابورت، بلاد ما بين النهرين،ص٢٨١.

[٨٤]) المصدر نفسه،ص٣١٨.

[٨٥]) جمال ندا صالح السلماني، العلاقات السياسية لبلاد الرافدين مع بلاد عيلام في العصر الاشوري الحديث(٩١١-٦١٢ قبل الميلاد)،(رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب،٢٠٠٣)،ص١٥١-١٥٢.